

فرحان العنزي

الإنسان ومسؤوليته

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

الإنسان ومسؤوليته

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد...

فإن الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] وأكرمه الله ﷻ وأفضل تكريم، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

والله ﷻ أنعم على الإنسان بنعم كثيرة:

- قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْهَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ

﴿١٠﴾ [البلد: ٨-١٠].

— وقال ﷺ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

— وقال ﷺ: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﷻ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وامتنن الله ﷻ على جنس الإنسان بالعلم والفهم:

— قال ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

— وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

والله ﷻ حينما خلق آدم خلقه من تراب، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكة قدسه، قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ [ص: ٧١-٧٢].

هكذا عباد الله خلق الله ﷻ هذا الإنسان في أحسن صورة، وكرمه أعظم تكريم، وذلك لمهمة عظيمة، ولغاية جلييلة، أتدرون ما هي يا عباد الله؟ إنها إقامة العبودية لله رب العالمين، فأنت يا أيها الإنسان ما خلقت في هذه الدنيا، وما خلقت عبر هذه الأطوار، وما خلقت في هذه الصورة، وما أعطيت العلم والفهم إلا لتقييم العبودية لله رب العالمين.

— يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

— ويقول ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﷻ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الروم: ٣٠].

– ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

– ولذلك كانت دعوة الأنبياء: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

نعم عباد الله: إنها الغاية العظمى، والمهمة الكبرى التي من أجلها خلقنا الله ﷻ أن نُقيم العبودية لله وحده لا شريك له، وذلك بالشهادة له بالوحدانية، وأنه ﷻ الخالق وما سواه مخلوق، وأنه ﷻ المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فلا أحد يستحق أن يُعبد، ولا أن يُصرَف له شيءٌ من العبادة إلا الله رب العالمين، وكذلك ما يتبع هذا من أوامر الله وأوامر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومن مناهي الله ﷻ ومناهي رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ولذلك يا أيها الإنسان: أنت تعيش في هذه الدنيا في مرحلة قصيرة، وفي حياة صغيرة، وعن قريب سترتحل إلى دارٍ أبديةٍ سرمدية؛ فأقم وجهك للدين حنيفاً، واعبد الله ﷻ حق العبادة، وأقم الفرائض، واجتنب النواهي، فإن الله ﷻ خلقك لهذا الأمر العظيم، والحذر الحذر من الإخلال بهذا القصد العظيم الذي من أجله خلقك الله رب العالمين، يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «يقول الله تعالى: **إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ**»^(١).

الحذر الحذر من أن تنحرف بإيمانك ودينك إلى ما يبتغيه الشيطان، وإلى ما يُزَيِّنُه لك، فأقم العبودية لله رب العالمين، ونقي إيمانك وإسلامك ويقينك من كل ما من شأنه أن يُكدِّره، ومن كل ما من شأنه أن يُفسده؛ لأن الموعد الله، وهناك دارٌ أبديةٌ سرمديةٌ يخلد فيها الناس، ويبقون فيها أبدية الله رب العالمين، وليس فيها من دار إلا الجنة أو النار.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

رزقنا الله وإياكم الجنة، ووفقنا وإياكم لإقامة العبودية كما أراد ﷻ، وكما
بيّن رسوله ﷺ، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم
ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، يا فوز المستغفرين أستغفر الله.



الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أما بعد....

فاتقوا الله يا عباد الله، وليعلم كل مسلم أن له دوراً في هذه الحياة لا بد من أدائه على مسرحها حتى تنتهي هذه الدنيا، فأنت ما خلقت عبثاً، ولن تُترك سُدىً، بل أُمِرت ونُهيت من الله ﷻ، فأقم العبادة لله ﷻ.

ولتعلم يا عبد الله أنه كما أمرك الله ﷻ بإخلاص العبودية له، وبالتأله والتنسك له، أمرك ﷻ بأن تكون إنساناً فاعلاً مثمراً، وأن تكون معطاءً بكل خير:

– أمرك ببر الوالدين، قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۗ﴾ [الأحقاف: ١٥].

– وأمرك بصلة الرحم، قال ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ﴾ [النساء: ١].

– وأمرك بأن تكون للمؤمنين رؤوفاً رحيماً طيباً معطاءً، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۗ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ

الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (١).

فأحسن إلى والديك، وصل الرحم، وكن ودودًا أليفًا يؤلف مع المؤمنين جميعًا، هكذا أمرك الله ﷺ.

ولذلك نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أعطانا جملةً من النصائح والوصايا التي بها نتواصل مع الناس أجمعين؛ وذلك بالتواضع وعدم الكبر، وبالتواصل وعدم الانقطاع، وبالتعايش السليم مع الناس أجمعين على أمر الله، وعلى هدي رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

والله ﷺ من خلال هذه النصوص العظيمة أعطانا توازنًا وتناغمًا بين الروح والجسد، بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، وبين السعي إلى الآخرة مع إعمار الدنيا في عملية تُنم على وسطية واعتدال، كيف لا وهي من الله رب العالمين، ومن أصدق من الله حكمًا، ومن أصدق من الله قیلاً، ومن أصدق من الله حديثًا.

وقد ترجمها نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ترجمةً عمليةً من خلال أقواله، ومن خلال أفعاله، ومن خلال تصرفاته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فالله ﷻ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المالك: ١٥] فكما أن قلبك معلق بالله، وكما أن سعيك للدار الآخرة، فإن هذا كله لا يمنع من إعمار الدنيا وذلك عن طريق الحلال، وذلك بسلوك الطريق المستقيم، وبسلوك الطرق الجيدة الصحيحة التي بينها رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

بل إن نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يرفض ذلك الكسل، وتلك الدعة، وهذا

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

التراخي، وذلك اللين الذي يُمارسه كثيرٌ من الناس في التعامل مع الدنيا، فكان ينهى عن البطالة والكسل، وكان يأمر بالعمل والنشاط والاجتهاد، بل إنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يحثُّنا ويُحرضنا في أخرج لحظة وهي عند قيام الساعة وفي يد أهدنا فسيلة يرميها ويزرعها^(١).

كل ذلك من النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** تحريكاً لتلك الأجساد التي طالما أخذت إلى الأرض، ولتلك النفوس التي لم تشم رائحة الهمة العالية، وإنما هي همةٌ دونية يحثُّها على اكتساب ما في هذه الدنيا من المصالح الخاصة والعامة.

نعم يا عباد الله: إنها شريعتنا شريعة الإسلام، شريعة الوسطية والاعتدال، وفقنا الله وإياكم للفهم عنه وعن رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ووفقنا الله وإياكم لاتباع الكتاب والسنة، وهدانا وإياكم إلى ما فيه رضوانه والجنة، اللهم صلِّ على محمدٍ في الأولين، وصلِّ على محمدٍ في الآخرين، وصلِّ على محمدٍ ما دامت السموات والأرضين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم احمي حوزة الدين، اللهم وفقنا وجميع المسلمين والمسلمات للعمل الذي يُرضيك عنا يا رب العالمين، اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينته في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك

(١) أخرجه أحمد (١٢٩٨١)، والطيالسي (٢١٨١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢١٦) من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٨ / ١).

